الإحياء والمدرسة الرومانسية اللتان لمع في ظلهما أكبر شعرائنا في العصر الحديث . ومن غير شك استطاعت مدرسة الإحياء أن تنقذ الشعر العربي من الانهيار الذي أصابه في العصر العثماني ، وأن ترتفع به إلى القمم التي كان يحلق فوقها كبار شعرائنا في عصوره الكلاسيكية الأولى . كما استطاعت المدرسة الرومانسية أن تحول مجرى النهر الذي كان الشعر يتدفق فيه إلى مجرى جديد حلقت في ضفافه مجموعة من شعرائنا اللامعين استطاعوا أن يسجلوا أسماءهم في سجل الخالدين من شعراء العربية الكبار ، ولكن هذا التحول الذي أصاب الشعر الحديث على أيدي شعراء هذه المدرسة لم يبتعد بالنهر عن منابعه الأولى التي يستمد مياهه منها ، ولم يفصل به عن الروافد الأساسية التي يعتمد في مزيد من تدفقه عليها ، لقد استطاع الرومانسيون أن يرسوا دعائم مدرسة جديدة ، وأن يؤصلوا لها تقاليدها الجديدة ، وأن يغيروا من الشكل والمضمون اللذين استقرا للقصيدة العربية على أيدي شعراء مدرسة الإحياء ، ولكنهم لم يقتلعوا هذه القصيدة من جذورها الأصيلة التي قامت عليها طوال خمسة عشر قرنا من الزمان ، ولم يهدموا أصولها و مقوماتها التي ثبتت لها على امتداد هذا التاريخ الطويل.

وظهرت الواقعية ، ولا اعتراض على ظهورها ، فهي مذهب أدبي كسائر المذاهب الأدبية له أتباعه الذين يؤمنون به ويلتزمونه ، ولكن ليس من حق هذا المذهب أن يعلن الحرب على المذاهب الأخرى ، فليس هناك ما يمنع من أن تتعايش المذاهب الأدبية جنبا إلى جنب ، ولا يعني ظهور مذهب أدبي القضاء على المذاهب الأخرى ما دامت هذه المذاهب صالحة للبقاء ، قادره على الوفاء بحاجات الأدباء في عصرها والتعبير عنها . لقد وقفت المدرسة الجديدة في وجه التيار المتدفق تضع السدود في طريقه ، وتثير العواصف من حوله ، فأخذت المياه الخصبة الثرية تذهب بدداً في صحراء واسعة لا حدود لها ، وأخذت معاول الدعاة لها تضرب في البناء الشامخ الذي أقامته الأجيال في محاولة لهدم قواعده وتحطيم دعائمه . لقد كانت حركتها حركة هدم ، وكان المفروض أن